التنظير في الوطن العربي وفعاليته في صناعة حضارة وهندسة سلام مع الآخر

الدكتور فهد سالم خليل الراشد

باحث لغوي – دولة الكويت

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

إدارة الثقافة

تمهيد:

تعتمد الدول المتقدمة في قراءتها للأحداث والمشاهد سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم ثقافية أم اجتماعية أمغيرها من مجالات الحياة اليومية على منظرين[1] في المقام الأول؛ فالمنظر يجمع بين المحلل والمفكر والمستشرف. والذي يجعل منه منظرا هو (الحدس) وهي ملكة موهوبة من الله عز وجل غير مكتسبة بالدربة والممارسة، وأيضا الذي يجعل منه منظرا هو (حسن التقدير) و (موازنة الرؤى)، أما التخمين والتأويل والتفسير فهذه مسائل نسبية قد تدخل في التنبؤ بعلم الغيب، وعلم الغيب عند الله عز وجل.

فالمحلل يحلل الأحداث والمشاهد وفق معطيات مرئية، وقد لا يخرج بنتيجة لذا؛ تظل نظرته للحدث أو المشهد نظرة قاصرة.

والمفكر يبتدع فكرة قد يؤخذ بها وقد لا يؤخذ، وقد تناسب الحدث في الوقت الحالي وقد تناسبه في وقت لاحق.

والمستشرف يبني الجزئيات ليستشرف المستقبل بالإيجاب أو السلب بناء على مكون الجزئيات التي جمعها وبناها.

أما المنظر فهو من يرى الحدث أو المشهد بـ " النظر والبصيرة "[2] وهو ذاك الذي يلامس الحدث ويعايش المشهد ويغدو جزءا من بنائه و يصبح مكونا من مكوناته وناتجا من نتاجه، ينسجم مع معطياته، فيكون مرآته العاكسة، وحدسه المستقبلي.

ولنضرب مثالين على ذلك؛ الأول : يقول الدكتور / أسعد ملي " كان لنبوءة ماركس انعكاساتها الأيديولوجية السياسية التي مؤداها أن التغيير الثوري، إنما هو " حتمية تاريخية " وأن الرأسمالية إنما هي " حفارة قبرها بيدها " و " تبحث عن حتفها بضلفها " وإلى آخره مما هو معروف "[3]

---

[1] - " أجمعت الدراسات على وجود جنس أدبي قديم اسمه المناظرة، كما أكدت كيفية التناظر القائمة على الاستدلال وعلى أهمية حصره في متناظرين لا غير " انظر: كتاب " الفكر العربي الإسلامي من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم" تأليف الدكتور / مختار الفجاري، عالم الكتب الحديث، 2009 ، ص 71 . والذي نتحدث عنه اليوم هو التنظير حيث إن المناظرة يثوبها القديم تدخل في إطار الجدل، كما يراها ابن خلدون، أما الصبغة الجديدة فقد أصبحت " جنسا أدبيا كتابيا يقوم بتأليفه كاتب واحد. بمعنى أصبح المؤلف يفترض مجموعة من المناظرات لطرح إشكاليات فكرية عقائدية. فهذا الصنف إذن هو أن تصدر مجموعة من المناظرات عن مؤلف واحد " انظر: المرجع السابق ص 73 .

[2] - انظر: المرجع نفسه ص 71 .

[3] - انظر: " العالم والرأسمالية: حيوية ذاتية وأزمات مستمرة " د. أسعد ملي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28 ، العدد الأول، 2012 ، ص 257 .

هذه نظرية قديمة " لكارل ماركس " ليست نبوءة كما يدعي الدكتور أسعد ملي، إنما هي تحليل للأحداث واستقراء للمشهد، واستشراف لمستقبل الرأسمالية مصحوب بحدس كارل ماركس. علما بأن هناك من لم يلتفت لحدس كارل ماركس لما وصلت إليه الرأسمالية من قوة وسطوة وسيطرة في عصرنا الحالي، واليوم نرى حدس كارل ماركس في محله، وأن نبوءته كما يراها الدكتور أسعد ملي قد تحققت.

وإذا انتقلنا بعد أكثر من سبعين سنة نرى / جيم أونيل، وهو كاتب مقال، كتب تحت عنوان (العالم الناشئ ينهض)، حيث يقول " الآن بعد استقرار القضايا الخاصة بالزعامة في الولايات المتحدة والصين، وأصبح بوسعنا أخيرا أن نضع التوقعات الاقتصادية لعام 2013، في إطار محدد في ظل علمنا بمن سيحرك خيوط السياسية في الدولتين الأضخم اقتصادا على مستوى العالم. ماذا ستفعل الولايات المتحدة والصين إذن. بل لعل السؤال الأكثر أهمية هو ماذا قد تفعل بهما القوى الاقتصادية ؟ "[1]

هذا التنظير للكاتب جيم أونيل اعتمد على الاستقراء للمشهد الاقتصادي وما تضمنه من أحداث وصلت إلى حد الكوارث الاقتصادية، وانهيار أكثر من منظومة مالية كنا نظن أنها هي الأقوى، وبهذا التنظير يدل على أن الكاتب جيم أونيل قد عايش هذا المشهد ولا مس أحداثه حينما قال " في ظل علمنا"، وحدسه لم يركن إلى قوة الولايات المتحدة والصين كأكبر قوتين اقتصاديتين، بل إنه استشعر بوجود قوة اقتصادية قادمة سوف تفاجئ العالم، وتفاجئ هاتين الدولتين الاقتصاديتين (الولايات المتحدة والصين)، لعله هنا يشير إلى القوة الاقتصادية لدول مجلس التعاون الخليجي، وكوريا، وإيران، وتركيا.

التنظير في الوطن العربي بين الاحترافية والهواية..

يعج الوطن العربي في عصرنا الحالي بالمنظرين، ولعل أغلبهم من الهواة؛ فالمنظرون المحترفون قلة قليلة جدا، وهناك بون شاسع بين الاحترافية والهاوية – لا سيما – إذا كان الحدث أو المشهد يتعلق بمستقبل أمة ! وأية أمة ؟! إنها الأمة العربية الإسلامية ذات الحضارة الإنسانية.

ينظر الدكتور / يوسف نور عوض للحضارة قائلا " يبدو أن مفهوم الحضارة مغاير لكل المفاهيم التي نحاول استخدامها في فرضية " حوار الحضارات " ، وذلك أن الحضارات لا تتحاور إلا أنه في العالم حضارة واحدة هي الحضارة الإنسانية، وهي تتعلق بكل المكتشفات العلمية والمؤسسات التي توصل إليها الإنسان " [2].

وإذا أمعنا النظر في هذه الرؤية وجدنا أن حضارة أمريكا المتقدمة لم تصنع بأيدي الأمريكيين أو حتى بعقولهم، بل هي خليط من علماء من كل بلدان العالم، ولكن بمقدورنا أن نقول صنعت بطريقتهم وكيفية تعاملهم مع الآخر. ويبدو أن أمريكا اتبعت أسلوب الحضارة العربية الإسلامية عندما انفتحت على الآخر واحتوته، وتبنت أفكاره وإبداعاته، ولم تنظر إلى عرق أو جنسية أو معتقد.

وفي موقع آخر ينقل لنا رؤية العالم الجزائري مالك بن نبي في تنظيره لمفهوم الثقافة قائلا " أحسب أن أدق رؤية عن الثقافة قدمها لنا مالك بن نبي في مؤلفه " الثقافة العربية والثقافات الأخرى " وقد لا حظ ذلك الدكتور عبد الله تركماني. وذكر الجملة الفاصلة في هذا الموضوع " الثقافة نظرية في السلوك وليس في المعرفة"[3].

---

[1] - انظر: " العالم الناشئ ينهض " للكاتب / جيم أونيل، جريدة الجريدة الكويتية، الجمعة 21 ديسمبر 2012 .

[2] - انظر: " حوار الثقافات الآليات والمفاهيم " د. فواز سيوف، مجلة الرافد، شوال – 1428 هـ / كتوبر 2007 ، عدد 122 ، ص 15 .

[3] - انظر: المرجع نفسه ص 18 .

إن مجرد ذكر السلوك ذلك يعني أننا دخلنا في حضارة، لأن الحضارة هي التي تقوم على سواعد أبنائها، وتأسس بأفكارهم، وتبقى بقوتهم، وتستمر بتماسكهم.

ومقولة أخرى لمالك بن نبي يقول فيها " وليس عزوف الثقافة العربية الإسلامية عن الصراع ضعفا في تركيبتها أو خللا في عناصرها الأساسية، ولكن عنصر تحضّر فيها، وعلاقة نضج ووعي، ومظهر صحة "[1].

ولكن ماذا نعني بالصراع؟ هل هو صراع الثقافات؟ وما فحوى هذا الصراع؟ وما هي مضامينه؟ وعلى أي شيء ثقافي سوف نتصارع؟ وهل مثل هذا الصراع محمود أم مذموم؟ وهل يدخل في التنافس الشريف أم غير الشريف ؟

ولمحمد حسنين هيكل رؤية قد لا تبتعد عن رؤية مالك بن نبي حيث يقول " ويستلفت النظر أن الثقافات الصينية والهندوسية لم تهدر وقتا غاليا في حكاية صراع أو حوار الحضارات، ففي هذه الثقافات الآسيوية كانوا على يقين من أنهم شركاء بثقافاتهم في المحيط الواسع، وبهذا اليقين أدركوا أن وسيلتهم الرئيسة لتحقيق أهليتهم في حق الشراكة أن يبنوا من وسائل القدرة على الفعل ما يمنع مهانة الظلم أو استعلاء الاحتكار أو الاجتراء على نفي شراكة الآخرين". ويصل إلى أن قبولنا بالمصطلحين كان دلالة ضعف " وحين قلنا بصراع الحضارات فقد اعترفنا بالعزلة. وحين دُعينا أو (دعونا للحوار) فقد ذهبنا لما يشبه طلب إذن باللجوء من متظلم إلى متحكم. ولم ندرك أن الحقوق الملكية لأصحابها إذا استطاعوا إثبات جدارتهم، وليس تواضع الآخرين للسماح لهم ببعضها "[2].

لا شك أن المشهد العربي الإسلامي في جميع المجالات يتأثر بالمنظرين، بل ويعول عليهم في كثير من الأحايين، ولكننا حينما نقرأ للبعض حقيقة لا ندري ماذا يريد بالضبط، أيريد العزلة للمشهد العربي الإسلامي؟ أم يريد الحضور للمشهد العربي الإسلامي؟ فإذا كانت العزلة مؤداها الضعف كما يراها الكاتب، وإذا كان الحضور يفسر بالتبعية كما يدعي الكاتب، فماذا عسانا أن نفعل؟! وما هو الحل؟!

نماذج من التنظير:

التنظير السياسي : يقول الدكتور إسماعيل دبش عن الثورة الجزائرية " ثورة متحضرة في محتواها وعصرية في توجهاتها وإنسانية في سلوكها، ومدرسة لحرية التعبير والمشاركة في ممارساتها السياسية. هدف الثورة لم يكن فقط تعميق وتدعيم إجماع وطني فعّال ضد الاستعمار الفرنسي، بل كانت كذلك تعمل على محاربة سياسة القهر والإجبار التي حاول الاستعمار الفرنسي غرسها في الشعب الجزائري. فالثورة الجزائرية عمّقت في الشعب الجزائري تعاليم رفض الممارسات القهرية والاضطهاد والهيمنة. ومن التعاليم الحضارية والإنسانية لثورة نوفمبر، أن تعليم وتكوين المحاربين ينطلق من محاربة الاستعمار الفرنسي والسلطة الفرنسية وليس فرنسا كشعب أو أمة"[3].

نلمس التنظير في الأسس لحضارة إنسانية راقية بعيدة عن نفس الانتقام، ولا تكيل بمكيالين، ولا تأخذ بجريرة الآخر، وهذا ما ينطبق أيضا على الحرب العراقية على الكويت؛ فالكويت لم تكن على خلاف مع العراق كشعب وكأمة لها حضارتها وتاريخها ومقوماتها، إنما كان الخلاف مع السلطة آنذاك، والشعب الكويتي تربطه بالشعب العراقي وشائج من الإخاء وأواصر اجتماعية وعائلية كالنسب والمصاهرة وصلة الرحم.

---

[1] - انظر: المرجع نفسه ص 18 .

[2] - انظر: المرجع نفسه، ص 18 .

[3] - انظر: كتاب " السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954 – 1962)د. إسماعيل دبش، دار هومة، 2007 ، ص 21 .

وكمثال آخر على التنظير السياسي حيث يقول الدكتور جمال الدين دراويل " كان لانفتاح النخبة التونسية على الفكر الحديث واستيعاب عناصرها – بتفاوت بينهم – لمفاهيمه السياسية، أعمق الأثر في تجاوزهم مفهوم الحرية كما عالجته المنظومة الفكرية التقليدية التي لم تخرج به عن دائرة الجبر والاختيار (في كتب الكلام) أو باعتباره نقيض العبودية (في كتاب الفقه)، إلى تصور جديد نابع من رؤية للفرد وللمجتمع جديدة، ومن فهم للعلاقة بين الفرد والمجتمع من جهة والسلطة السياسية من جهة ثانية مغاير"[1].

لو لا حظنا أحداث تونس الأخيرة، لو جدنا بأن هذه قراءة للدكتور جمال دراويل استشرافية، وبصيرة نافذة للمشهد السياسي التونسي ما بعد الثورة؛ فقد توسعت الحريات الفكرية إلى أقصى الحدود، ونجم عنها إرهاصات فكرية وسلوكية كثيرة، سوف تستقر في يوم ما وتنضج، وتكون على مستوى من الوعي[2] والمسؤولية لو صقلت صقلا محمودا جيدا بعيدا عن نفس الانتقام وتصفية الحسابات، فسوف تأسس دولة حديثة قادرة على مسايرة ركب الحضارة والتطور حتى وإن كانت إمكاناتها أو مواردها الاقتصادية ضئيلة.

التنظير الاجتماعي : يقول الدكتوران / محمد جاسم ولي العبيدي و بشير سعيد لقع " تشير نظريات التفاعل الاجتماعي إلى أهمية البحث والمودة والتعاطف والوفاق في عملية التفاعل الاجتماعي، ويعني هذا ضرورة المشاركة في القيم والميول والاهتمامات والاتجاهات. وتدل البحوث في هذا الموضوع على أن الفرد يميل إلى الانجذاب إلى أولئك الذين لديهم اتجاهات تُماثل اتجاهاته "[3].

إن هذه النظريات المشار إليها وضعها منظرون اجتماعيون، أجروا بحوثا ميدانية وأقاموا دراسات تجريبية، وقدموا استقراء لشرائح اجتماعية، وخلصوا إلى هذا التنظير الذي يسهم في بناء حضارة إنسانية راقية قوامها المودة والتعاطف والوفاق.

التنظير الاقتصادي : يرى الدكتور / أسعد ملي " إن أي نظام اقتصادي – اجتماعي لا يواكب تقدمه المادي تقدم آخر موازٍ على الصعيد القيمي – الأخلاقي، سيبقى تقدمه ناقصا ومثلوما، بل ومشكوكا بقدرته على الاستمرار، والشاهد القريب هو الطريقة اللاأخلاقية والمنفرة التي تصرفت بها القوة الرأسمالية العظمى – والمقصود بالطبع الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس بوش الابن – قبل احتلالها للعراق وخلاله وبعده وما ساقته من مبررات كاذبة للغزو، اعترف مسؤولوها أنفسهم بكذبها في مدة لاحقة "[4].

إن ربط الاقتصاد بالأخلاق ليس فكرة مستحدثة، بل هي من الأفكار القديمة التي تحدث بها فلاسفة العالم منذ العهد اليوناني، ولعل الأنموذج الإسلامي في الاقتصاد من أرقى الأنموذجات على الإطلاق، حيث إنه يتمتع بالصدق والأمانة والشفافية وأدب تسويق السلعة، والشواهد كثيرة على ذلك بدءا من التعليمات السماوية التي أنزلها الله في القرآن الكريم فيما يخص الأمانة والمكاتبة والمصداقية في التعامل وغيرها، والدقة والعدل في الموازين.

---

[1] – انظر: كتاب " النخبة والحرية – تونس في الثلث الأول من القرن العشرين " د. جمال الدين دراويل، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2011 ص 79 .

[2] – " الوعي الممكن مرتبط بالآمال والحلول التي تغير الواقع وتطرح البدائل " انظر: الرؤية السردية في رواية " سرادق الحلم والفجيعة " لعز الدين جلاوجي، د. أحمد جاب الله، جامعة الحاج الخضر باتنة، الجزائر، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، عدد 14 ، جوان 2012، ص 8 .

[3] – انظر: كتاب " التفكير التعاوني " تأليف أ.د. محمد جاسم ولي العبيدي، أ.د. بشير سعيد لقع، دار المنار للطباعة والنشر، ليبيا، 2010 ، ص 49 .

[4] – انظر: " العالم والرأسمالية: حيوية ذاتية وأزمات مستمرة " د. أسعد ملي ، ص 284و285 ، مرجع سابق.

التنظير الديني : يقول الدكتور / عبد الإله بن عرفة، من المغرب " إن بناء الهوية الدينية يتم انطلاقا من العلاقة مع الآخر، بحيث إن وجود غيرية دينية أخرى يقدح في وعي المؤمن بأنه يحدد ذاته في مقابل الغير، أي بما يميزه عن ذلك الغير. وقد يصبح هذا الغير جزءا من انتماء أشمل لكلا الهويتين الدينيتين المختلفتين، كقرابة الانتماء إلى نفس الوطن وامتلاك نفس اللغة "[1].

يطرح المنظر هنا فكرة المواطنة التي تذيب الفوارق الدينية؛ فلعل الانتماء للوطن يمنحك أريحية في التعامل مع الآخر حتى لو كان هذا الآخر على غير دينك الذي أنت عليه.

التنظير الثقافي : يقول الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح من مصر، إن " أكثر ما يهتم به قادة الفكر الثقافة. المؤمنون بمفاهيم أمتهم، الدائبون لنشرها، وهو: نقلها من حيز النظر المجرد إلى الواقع البشري الحي، ووصل حياة الناس بها، بحيث تكون مصدر فكرهم، وشعورهم، وطابع سلوكهم، وسمة حياتهم العلمية. ومن هنا يخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة إلى المعرفة الهادفة. أو بتعبير آخر: عن المعرفة الساكنة التي تتجاوز حدود العمل الذهني، إلى المعرفة المحركة التي تحدث تفاعلا، وحوارا، واضح التأثير مع تطلعات الفرد والجماعة "[2].

يرمي المنظر هنا إلى ضرورة أن يكون حضور للمثقف على الساحة الاجتماعية، ويؤكد مشاركته الفعّالة عقلا وروحا وجسدا؛ فلا ثقافة مع الانزواء عن المجتمع، ولا ثقافة مع الانطواء على النفس، لا بد للمثقف أن يشعر بهموم شعبه، وبقضايا أمته التي ينتمي إليها، والمثقف هو المدافع والمنافح عن المستضعفين المظلومين في الأرض؛ فهو لسان حالهم المرثية، ووضعهم المزري، وهو سلوكهم في نصرتهم وإنصافهم.

التنظير اللغوي : ينظر الدكتور محمود السيد من سوريا قائلا " اللغة الأم هي هوية المرء، وهوية الأمة التي ينتسب إليها، وهي محور المنظومة الثقافية المتجذرة و الأصيلة بلا منازع، وإذا ما فقد أي شعب لغته الأم فإن ذلك سوف يؤدي لا محالة إلى طمس ذاتيته الثقافية، وفقدان هويته المميزة لأن اللغة جنسية من لا جنسية له، إنها وطن، ومن فقد لغته فقد وطنه "[3].

في رأيي الشخصي أن اللغات ليست حكرا على أحد، وأن إسلامنا وديننا وعروبتنا تقول من تكلم العربية فهو عربي سواء أكان فارسيا أم رومانيا أم غيرهما، بدليل أن أكثر من دافع ونافح عن اللغة العربية من غير العرب، وأكثر من تألق وأبدع بها من غير العرب- أيضا - فسيبويهِ لم يكن سيبويهِ إلا باللغة العربية، والكسائيُّ لم يكن الكسائيَّ إلا باللغة العربية؛ فـ " العربية هي أساس ثقافة وحضارة وليست عرقا أو سلالة وحَّد القرآن لهجتها في الفصحى واحدة موحدة وهي من أولى اللغات التي اكتمل توحيدها وإحكام نحوها وصرفها في زمن مبكر يزيد على 1200 عام، وهي اليوم حسب ترتيب اليونسكو اللغة السادسة بين اللغات الأكثر انتشارا في العالم "[4].

التنظير الحضاري : يقول الدكتور مصطفى أحمد علي " اتجه الاهتمام إلى الإنسان، ليس بوصفه أداة للتنمية وغايتها المنشودة، وأضحى إشباع الحاجات الروحية. المتمثلة في تحقيق كرامة الإنسان عبر الإبداع والإنتاج،

---

1 - انظر: " بناء الهويات في زمن العولمة " د. عبد الإله بن عرفة، مجلة التواصل، عدد 20 ، ص 88 .

2 - انظر: " الثقافة الإسلامية والانفتاح " د. أحمد عبدالرحيم السايح، مجلة التواصل، عدد 14 ، ص 41 .

3 - انظر: " لغتنا الأم العربية الفصيحة " أ.د. محمود السيد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 84 ، الجزء 1 ص 13 .

4 - انظر: اللغة العربية في الصحافة المكتوبة، من الكلمة الافتتاحية لرئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة، ص 9 .

وحقوقه الأساسية في المشاركة وحرية التعبير الثقافي والسياسي والاعتقاد والاحترام المتبادل، مقترنا بل ومتقدما على إشباع حاجاته المادية المتمثلة في الطعام والكساء والمأوى اللائق "[1].

يربط لنا المنظر هنا الحضارة بكرامة الإنسان؛ فأية حضارة نفاخر بها وهي مبنية على إقصاء الآخر، وقمع الحريات، وتكميم الأفواه، إن الحضارة التي تستحق أن يطلق عليها حضارة هي الشفافية والمصداقية، هي الاستثمار في الإنسان، وإدماجه في المجتمع. هي احترام الحريات، وتحقيق العدل الاجتماعية (فلسفة ونظرية وواقعا).

التنظير التنموي : " ما من ثقافة حثت الإنسان على الكسب والسعي والعمل وابتغاء الرزق، تضاهي ثقافة الإسلام، وتنطلق الرؤية الإسلامية في شأن التنمية، من أن جميع ما في الكون، إنما مسخر للإنسان. والآيات كثيرة على ذلك وسنكتفي بقوله تعالى " وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض " (الجاثية : 13) "[2].

يزاوج المنظر هنا بين الثقافة والتنمية، وأن ثقافة الشعوب تؤدي إلى تنمية الفرد والمجتمع، وتلقي بظلالها على مشارب الحياة اليومية في جميع المجالات.

التنظير العقائدي : يرى الباحثان / مصطفى ياسين و حنين مصطفى أن " الإسلام يؤكد أن الدين لله، وللعقائد الكتابية مكانة خاصة، ولذلك فالإنسان في منظور الإسلام له كل الحق في أن يعتنق العقيدة أو المذهب أو المبدأ الذي يشاء، وله كل الحرية في أن يمارس من شعائر عقيدته ما يراه علانية أو خفاء، كما أن له الحق أيضا في أن لا يعتنق على الإطلاق أي دين، طالما أن ذلك كله لا يضر بالآخرين. إذ أن حرية الإنسان تنتهي عند بداية حقوق غيره، وتقتضي حرية العقيدة حق الإنسان في أن لا يفرض عليه اعتناق دين معين "[3].

الإسلام هو الدين والدولة والأمة، وهو المجتمع والشعب؛ لذا جاء كاملا متكاملا وخاتما لجميع الأديان والمعتقدات، والرسول الكريم خاتم للأنبياء والرسل، يقول الباحث من جزر القمر يعقوب يوسف " الإسلام الحنيف جاء للناس كافة، أي عالمية الدعوة الإسلامية، ولكنها في الوقت نفسه راعت الاختلافات والفروق الثقافية والبيئية والحضارية لكل شعب دخل الإسلام أو بلد استضاء بنوره، لأن الإسلام جاء ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور لا ليمحو الآخر ".[4] ويقول كاتب من مالطا عبد الرحمن فروجا، وقد ترجم له الصحفي من ليبيا محمد محمد العالم " نحن نعلم أن العالم سوف يكون في غالبيته سلما قبل قيام الساعة، وهذه نبوءة في القرآن الكريم، وفي أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ الصف: 9، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده ليصلن هذا الدين إلى ما وصل إليه الليل والنهار، فلن يكون هناك بيت و لا فلاة و مدينة إلا وصلها الإسلام "[5]. وكيف يصلها الإسلام ؟ انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت: 33 ، فالدعوة إلى الله عز وجل ارتبطت بحسن القول والعمل الصالح، وهذان هما مفتاح السلم والسلام والإسلام. قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الإسراء: 53 .

---

1 – انظر: " البعد الثقافي للتنمية " د. مصطفى أحمد علي، مجلة التواصل، عدد 17 ، ص 22 .

2 – انظر: المرجع نفسه، ص 25 .

3 – انظر: " التعايش السلمي لغير المسلمين في المجتمعات المسلمة "، إعداد: مصطفى ياسين وحنين مصطفى، مجلة التواصل، عدد 16 ، ص 119 .

4 – انظر: المواطنة والهوية والعولمة، قضايا وآراء، رأي يعقوب يوسف من جزر القمر، ص 55 . مجلة التواصل، العدد العشرون.

5 – انظر: " الإسلاموفوبيا ظاهرة تنمو في أوروبا" عبدالرحمن فروجا، ترجمة، محمد محمد العالم، ص 15 . مجلة التواصل، العدد الرابع عشر.

ونحن – العرب – أعزنا الله بالإسلام ، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله "[1]

وهذا لا يعني إلغاء الأديان الأخرى أو تجاهلها أو عدم الاعتراف بها أو ازدرائها، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ البقرة: 256 ،

القسم الأول من البحث

صناعة حضارة

كنت دائما أفرق بين الحضارة والمدنية، وأرى أن المدنية قد تصنع بأيدي الغير، أما الحضارة فتصنع بأيدي أبنائها، وتبنى بسواعدهم، وتأسس بأفكارهم، وتزدهر بإبداعاتهم، وتبقى بقوتهم، وتستمر بتماسكهم.

والحضارة لا تقتصر على جانب دون آخر، عكس المدنية؛ فالمدنية قد تكون في المباني فقط ولكن لا ثقافة للقوم، وقد تكون في المأكل والملبس ولكن لا أخلاق رفيعة أوسلوك نبيلا للقوم، فقد تجد المدنية وتجد الفوقية، والنرجسية، والطبقية، والفئوية. أما الحضارة فهي تكون في المبنى والمعنى؛ فإذا ارتقت الأخلاق فهذه حضارة، وإذا ازدهرت المباني فهذه حضارة، وإذا سما أسلوب التخاطب وترفع عن الإسفاف والتحقير فهذه حضارة، وإذا تميز الطرح فهذه حضارة، وإذا احترمت حريات الآخرين وقدرت آراءهم وحافظت على مكتسباتهم فهذه حضارة، وإذا أسست اكتفاء ذاتيا في مجال من مجالات الحياة اليومية فهذه حضارة.

كما أن الحضارات متصلة ببعضها البعض ومتحلقة حولها؛ فالحضارة الهندية قامت على أسس الحضارة اليونانية نقلتها وترجمتها وأضافت عليها ثم استقلت بذاتها حتى أصبحت حضارة هندية، وكذلك الحضارة الفارسية قامت على أسس الحضارة الهندية نقلتها وترجمتها وأضافت عليها ثم استقلت بذاتها حتى أصبحت حضارة فارسية، والذي يميز الحضارة العربية الإسلامية أنها قامت على أسس حضارات متعددة ولم تحصر نفسها بحضارة معينة، فالحضارة العربية الإسلامية انفتحت على كل الحضارات وساعدها في ذلك الدين الإسلامي الذي نزل للناس كافة وانتشر بالأخلاق الحميدة وبالمساواة بين البشر، هذه الحضارة العربية الإسلامية العظيمة اتكأ عليها الغرب الأوروبي ونقلها وترجمها وأضاف عليها وطورها حتى أصبح لديه حضارة، ثم جاءت أمريكا فأخذت الحضارة الأوروبية وترجمتها وأضافت عليها وطورتها ونجحت في استقطاب معظم علماء العالم لتأسس بهم حضارة أمريكية عالية التقنية ورفيعة المستوى.

واليوم نجد هناك تجارب ناشئة وفي طريقها إلى النجاح لبعض الدول العربية بالطريقة نفسها وأخص بالذكر دول الخليج العربية النفطية، اليوم نرى أن هناك بوادر حضارة في بعض المجالات؛ فإذا كان عمر النفط في الخليج أول ما ظهر لا يتجاوز الستين سنة، وفي المقابل نرى بوادر الحضارة وليس المدنية؛ فالمدنية في دول الخليج قد سبقت الحضارة ووصلت أعلى مستوى لها من المباني والأسواق والمأكل والملبس، ولكن اليوم نرى حضارة بالفعل بانت ووضحت في العلوم الإنسانية في التاريخ في الثقافة في الأدب في المسرح في التلفزيون وشيء من السينما، أيضا هناك صناعات خفيفة أصبحت فيها دول الخليج مكتفية ذاتيا ومعتمدة على سواعد أبنائها مقياسا مع ظهور النفط،

[1] – قالها عمر بن الخطاب بكل عزة وهو ذاهب لاستلام مفاتيح بيت المقدس وكان يلبس ثيابا قديمة ويخوض برجليه في الماء) حادثة مشهورة.

أيضا في الطرح المميز، في احترام الحريات، في التفاعل مع الشعوب، في الحضور الفعال العربي والدولي، في التماسك كوحدة خليجية عربية؛ فالأمر يبشر بالخير.

وفي هذه الورقة البحثية المقتضبة ليس باستطاعتي أن أناقش كل جوانب مقومات صنع الحضارة، إلا أنني سوف أقدم أنموذجا مبسطا لجزئية واحد لصناعة حضارة، وهي تدخل ضمن التنظير التنموي، وسوف أطلق عليه (المشروع):

المشروع

اختيار المشروع : من السهل جدا أن تجد مشروعا، ومن السهل جدا القيام به وتنفيذه وإنجازه، ولكن من الصعب جدا جدا جدا أن تختار نوعية المشروع الذي يتوافق مع الوضع الاقتصادي ويتواءم مع الحالة الاجتماعية والاستقرار الأمني. فنجاح أو فشل المشروع مرهون بمدى حاجة الناس له أو حاجة الدول له؛ لذا لابد من جهاز رقابي رديف لإنجاز أي مشروع أو موجه له فهو الذي يقوّم المشروع، وهو الذي يقيّم المشروع بعمل موازٍ مع خطوات إنجاز المشروع؛ منذ كان فكرة إلى دخوله حيز التنفيذ، ثم متابعته لقياس مدى نجاحه. إذن أجهزة الرقابة إن جاز لنا تسميتها فهي لجنة متابعة المشروع.

الاهتمام بصاحب المشروع : لم يعد الآن فكرة صاحب المشروع فردا واحدا، اليوم المشروع أصبح فكرة جماعية مختصّة، وفكرة دولة بمؤسساتها، وفكرة منظمات عربية بإداراتها وإداراتها كل لا يتجزأ، ومنظومة مكملة لبعضها، فمن الخطأ بمكان قصر النشاطات والمشروعات على إدارة معينة من الإدارات أو احتكارها من قبل أشخاص معنيين؛ إذن الاهتمام بصاحب المشروع مطلب مستحق ولا بد أن تتضافر الجهود لمساندة صاحب المشروع سواء بتبادل الخبراء والمستشارين أو الأموال اللازمة، أو الأيدي العاملة .. وهكذا .

المدة الزمنية : نحن العرب متهمون بأننا لا نحترم الوقت أو لا نعير اهتماما للوقت حتى في مواعيدنا الشخصية (لعل من المؤلم أن تسمع شخصا إذا واعدته يقول لك وعدا إنجليزيا لأن ديننا الحنيف حرص كل الحرص على احترام الوقت والالتزام بالمواعيد)؛ فما بالك بمشاريع عملاقة خصصت لها ميزانية كبيرة .

لذا ؛ عندما أقف عند جزئية الزمن ليس اعتباطا ولا عرضا؛ بل لأنني أدرك تمام الإدراك أهمية هذه الجزئية وتأثيرها في تقدمنا وحضارتنا ورقينا – على الأقل – في ردم الفجوة الرقمية بيننا وبين الغرب المتقدم علينا بعشرات السنين في جميع المجالات .

إن عجلة الزمن تؤرق كل مفكر أو مثقف لأنه يحمل هموم أمته العربية على عاتقه، ويأمل أن يرى لها مستقبلا زاخرا في خضم المتغيرات والمستجدات العصرية؛ فهو لا يريد أن يتغنى بالماضي التليد، إنما يريد أن ينجز بالحاضر ويفخر بالمستقبل .

إذن الزمن عامل مهم جدا؛ فمن الماضي نستلهم الحاضر، ومن الحاضر نبني المستقبل، وتحديد المدة الزمنية لإنجاز مشاريعنا ينعكس إيجابا على حياتنا اليومية وتعاملاتنا مع الآخرين .

البيئة : أو المكان سمها ما شئت : المهم أن نجد بيئة خصبة وملائمة لاحتضان الدراسات والبحوث، وأعني بالبيئة الخصبة تلك البيئة التي توفر مناخا هادئا للباحث العالم بعيدا عن ملهيات الحياة ومشاغلها ومشكلاتها ، وهذا معمول في (أميركا ؛ فالباحث العالم لا ينجز معاملاته اليومية ولا يسدد فواتير الكهرباء والماء ولا يشغل نفسه بتوصيل الأولاد إلى المدارس لأن الدولة وفرت له من يقوم نيابة عنه بجميع هذه الأعمال وفرغته للبحث العلمي الذي سوف تستفيد منه الدولة بلا شك).

أما البيئة الملائمة : هي تلك البيئة التي تتوفر فيها آليات التنفيذ، والحديث عن الآليات يطول ولا مجال لبسطه ههنا ، ولكن على سبيل المثال لا أقيم مصنعا على أرض نفطية، فمدخول النفط أكثر بكثير مما يدره عليّ المصنع؛ ولكن من الممكن أن أعمل مصنعا خارج القطر وبعمالة رخيصة الأجر ومتوفرة .

5 – اختيار الخبراء : المصطلح يدل على أن هناك خبرة؛ والخبرة لا تتأتى إلا بعد طول تبصر وقراءة وبحث إضافة إلى الفراسة والحدس، إن صح القول فإن الخبير هو المستشار أو قل هو المستشرف (والاستشراف ليس علما قائما بذاته، بل هو مصطلح يسبق أي علم كمصطلح الاستراتيجية – مثلا – فهناك الاستراتيجية الحربية والتربوية والاقتصادية ...وهلم جرا).

لذا ؛ أرى أن المستشرف هو مصطلح يسبق كل العلوم؛ على سبيل المثال ؛ الاستشراف التربوي الاستشراف الاقتصادي الاستشراف الاجتماعي ... وهكذا .

لو أردنا أن نعرّف المستشرف؛ فمن هو المستشرف ؟! وما مؤهلاته ؟ وماذا لديه من خبرة ؛ وماذا قرأ ؟ وماذا أنجز ؟ وماذا اخترع وابتكر ؟ وماذا ألف ؟ وماذا صنع ؟ فلا يعقل أن نأتي برجل أو امرأة لم يتجاوزا الثلاثين من عمرهما ثم نطلق على كل واحد منهما مسمى خبير ! أين الخبرة في هذا العمر القصير؟ ! إذن المستشرف هو ذاك الخبير الذي أفنى معظم عمره بدقة البحث والتحري.

وللأسف – ففي يومنا هذا – اختلط الحابل بالنابل ، كما يقال ؛ فلم نعد نفرق بين الباحث المدقق والقارئ المتذوق . ولم نعد نعرف الإداري من الفني من المتخصص من المختص .

ولعل هذه الازدواجية ، أو هذه الفوضى العصرية عندنا هي سبب رئيس في عرقلة مشاريعنا؛ لأننا لا نعرف من أين نستقى المعلومة ؟ وكيف ننهل من المعرفة؟ وكيف نستفيد من الفكرة ونوظفها في إطارها الصحيح؟ ، كل من هب ودب أصبح خبيرا. وجاز له أن يستشرف للمستقبل في جميع الميادين، فإذا لم نتريث قليلا ونرجع إلى الوراء لنصلح هذا الخلل، ثم ننظم صفوفنا من جديد، ونرتب أفكارنا، ونضع الأمور في نصابها والمسميات في موضعها الصحيح، وبعد ذلك ننطلق من قاعدة واضحة وصلبة القوائم وفق ضوابط ومعايير ومقاييس دولية وعلمية بحتة كي يتسنى لنا المضي قدما في إنجاز مشاريعنا والاستفادة منها، وإلا فسوف نظل نتخبط ولن نخرج من المربع الأول ولن نتجاوز نقطة الصفر إلى الأبد .

ميزانية المشروع : لكل مشروع شقان؛ شق إداري ، وشق فني تقني. وميزانية المشروع تجمع الاثنين معا، فالشق الإداري معني بميزانية المشروع ككل لا يتجزأ، وهناك لجنة مراقبة تتابع إنجاز المشروع وفق الميزانية المخصصة له، وقد لا تنظر إلى جودة المشروع ومدى الاستفادة منه؛ إذ بعض المشاريع المهم فيها أن تنجز وتدون كنشاط للمنظمة أو الوزارة و الإدارة، ولكن الشق الفني التقني يحرص كل الحرص على جودة المشروع؛ لذا فهو يحرص على استقطاب أفضل الخبراء والمستشارين، وأفضل الأيدي العاملة، حتى لو كانت التكلفة كبيرة، وحتى لا نقع أسرى ميزانية ضعيفة، وتأتي مشاريعنا هشة ومهلهلة، بحجة الرخص، منذ البادية نعد ميزانية مفصلة ومجزأة على المشروع، ونعتمد على مراكز القياس في مدى الاستفادة من هذا المشروع.

القسم الثاني من البحث

هندسة السلام مع الآخر

هندسة السلام مع الآخر تنطلق من الحوار، والحوار هو الرأي والرأي الآخر، إذن هناك قول وهناك استماع، وهناك حجج وبراهين، وأسباب ومسببات، ومبررات، واستدلالات، وهناك استقراء، وتحليل، ورأي، واحترام رأي الآخر وما يقدمه من تعضيد رأيه.

لفت نظري وأنا أقرأ القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ **الحشر:** 23 ، **كلمة (المؤمن)؛ فوقفت عندها متأملا ومتسائلا : إذا كنت أؤمن بالله، وغيري أيضا يؤمن بالله، ويطلق عليه مؤمن بالله، ويطلق علينا مؤمنين بالله. فكيف يطلق الله سبحانه وتعالى على نفسه مؤمن؟ فهو عز وجل يؤمن بمن وبماذا ؟ وجنح بي التفكير حتى حضرني قوله تعالى:** ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾ **البقرة:** 30 . **وهنا قلت – ولله المثل الأعلى – إذا كان المرء منا حين يتخذ قرارا بعد قناعة ودراسة؛ فهو يؤمن بهذا القرار الذي اتخذه، ثم ربطت الآيتين ببعضهما فوجدت أن الله سبحانه وتعالى مؤمن بقراره في خلق الإنسان أولا، ثم جعله خليفة له في الأرض، وهو سبحانه وتعالى مؤمن بعظيم صنيعه لهذا المخلوق الذي أطلق عليه (الإنسان) والله أعلم.**

ومن الآية الأولى التي وردت فيها كلمة (مؤمن) إلى الآية الثانية التي رد الملائكة على قول الله تعالى ﴿.. أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء..﴾ **البقرة:** 30، **هنا أقف على عدة مستويات في الخطاب القرآني:**

الأول: شاورهم الله في الأمر، وقد حقق عز وجل مبدأ الشراكة في السماع والرأي، ولا أقول في الملك؛ فالحاكم حين يسمع لرعيته ووزرائه لا يعني هذا أنهم شركاء له في ملكه وكرسيه، وهذا ما حصل مع بلقيس حينما طلبت المشورة من وزرائها، وهذا ما طلبه سيدنا موسى من الله عز وجل بأن يكون أخوه وزيرا له يستشيره، ويشاركه في أمر الحكم والعبادة والطاعة، ويسانده في الملمات، وهنا يتحقق مبدأ موالاة الأقارب، قال تعالى: ﴿ وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارونَ أَخِي * أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرا ﴾ طه: 33.32.31.30.29. **وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:** ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ **آل عمران:** 159، **وامتدحنا الله سبحانه وتعالى قائلا:** ﴿ .. وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ .. ﴾ **الشورى :** 38. **والله أعلم**

المستوى الثاني: ترك الله عز وجل للملائكة مساحة للحوار وحرية إبداء الرأي، وهم المسيرون؛ فما بالك بالإنسان المخير في تصرفاته وأعماله. والحوار هنا جاء بصيغة النقد للإنسان الذي سوف يخلق، وليس نقدا للذات الإلهية؛ فكون الإنسان مخيرا بتصرفاته وأعماله فمن الطبيعي جدا أن يصدر منه الفساد وسفك الدماء... ومن الطبيعي جدا أن تكون تصرفاته إما خيرا أو شرا. والله أعلم.

المستوى الثالث: أن الله سبحانه وتعالى في النهاية هو صاحب القرار الذي اتخذه وآمن به جل شأنه، فالمشورة يستأنس بها الحاكم وليس بالضرورة الأخذ بها؛ لأنه دائما وأبدا تكون لديه بصيرة نافذة، ورؤية خفية يصل إليها الحاكم بحسّه وحدسه، لا يصل إليها البقية، وإلا لماذا أصبح حاكما؟!

والله سبحانه وتعالى قال للملائكة: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ **البقرة:** 30 ، **وقد أثبت وبرهن على ذلك عز وجل وتقدس حكمه وبيانه حينما:** ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ البقرة:31 ، وصدق الملائكة هنا فيما ذهبوا إليه بأن الإنسان سوف يفسد في الأرض ويسفك الدماء، وهذا تعميم لا يستقيم مع ما خلق الله وصنع هذا الإنسان الذي سوف يعمر الأرض وهو الأصل في فطرته التي فطره الله عليها – والله أعلم – ، إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة: 33 . والله أعلم.

المستوى الرابع: احترام الحوار وتقبل النقد، والاقتناع بحجج وبراهين الرأي الآخر، والتنفيذ (قال تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة: 32 ، والتنفيذ حيث قال تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: 34. والله أعلم.

المستوى الخامس : من يخرج عن رأي الجماعة يكون منبوذا، فإذا خرج الفرد عن رأي الجماعة وتعصب لرأيه وتمسك بقوله؛ فإنه سيعيش وحيدا منفردا قال تعالى لإبليس حينما رفض السجود لآدم مخالفا رأي الجماعة ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأعراف: 18. والله أعلم.

ومن الأمثلة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم " طلب الرسول الكريم نفسه من أصحاب النخل أن يؤبّروا نخلهم، فسمعوا وأطاعوا، وفي سنتها لم يثمر النخل، فجاؤوا إلى النبي الكريم، وشكوا له ما حدث معهم، فتراجع عليه السلام عن رأيه، ورجع إلى جانب العلم والصواب .. وقال : " أنتم أعلم بشؤون دنياكم " و أيضا " يوم عسكر المسلمون في بدر في مكان، ورأى بعضهم أن المكان المقترح ليس بالمعسكر الأمثل، فاقترحوا عليه أن يغير المكان، ودلوه على موضع آخر. فرأى صواب رأيهم .. فعدل عن أمره، وتراجع عن رأيه، ولم يقل، أنا رسول الله، ولا أتراجع عن رأي ولو خسرتم المعركة، وهلكتم جميعكم؟ وأخذ القول الصائب والرأي الأسد ". ومثال آخر " زار الإمام الشافعي مدينة بغداد، وأحب أن يصلي الفجر في مسجد الإمام أبي حنيفة .. وحين أقيمت الصلاة قدمه الناس للإمامة حبًّا به واحتراما .. فأمهم .. وصلى بهم .. ولكنه لم يقنت في الركعة الثانية كعادته ومذهبه. وحين انتهت الصلاة تقدم أحدهم، وتجرأ على سؤاله: هل نسيت القنوت يا إمام؟ أو عدلت عنه؟ قال رضي الله عنه: لم أنس، ولم أعدل .. ولكني احترمت صاحب هذا المقام العظيم الذي لم يثبت عنده قنوت الفجر "[1].

سوف أناقش في هذا القسم تنظير الباحث الكويتي الدكتور / سليمان العسكر، حول مفهوم نحن والآخر.

يرى الدكتور / سليمان العسكري، أن " لُبّ مسألة الحوار هو الخوض في أربع معادلات رئيسة تتكون كل معادلة فيها من طرفين أو جهتين متقابلتين، وذلك كما يلي :

معادلة حوار المصالح المادية : فمن جهة أولى، نجد لدى العرب مواد خاما ونفطا وأيدي عاملة وإمكانات معطلة، تتطلب البيع والتطوير والتوظيف والتشغيل. ومن جهة أخرى مقابلة، هناك لدى الغرب قوى رأسمالية وصناعية واستثمارية متعاظمة، تسعى إلى الحصول على هذه العناصر وتشغيلها بيسر وأمان. فتصبح المعادلة هي : كيف نصوغ علاقة تبادلية للمصالح تفيد كلا الطرفين، وتقلص هامش سوء الفهم والصراع، وتزيد من الشفافية والانتفاع، وتبعدنا عن التحيزات والأحكام المسبقة التي رسخها – لدينا ولديهم – تراث قديم من الارتياب ونبذ الآخر.

معادلة الحوار الثقافي : فمن جهة أولى، هناك لدى العرب ثقافة تراثية لغوية تنشغل بالماضي وتستند إلى النقل بدل العقل، وتسود فيها النبرة الخطابية على المنطقية. ومن جهة أخرى مقابلة، هناك لدى الغرب ثقافة

[1] – انظر: " نحن والآخر " أ.د. بكري شيخ أمين، مجلة الحج والعمرة، جمادي الأولى، 1429 هـ . العدد الخامس، ص 68 و 69 .

مادية وعلمانية تستند إلى البرغماتية وتنشغل بالدنيوية وتتمسك بنزعة اقتصادية. فتصبح المعادلة هي : كيف يجرى حوار بين هاتين الثقافتين ليصل إلى أعلى درجة من التفاهم والتوافق، متجاوزا حالة التنافر والتراشق.

معادلة الحوار الوجودي : فمن جهة أولى، هناك لدى العرب إرث قديم ينظر إلى الغرب باعتباره المستعمر المستغل ويكرس ويؤصل لاستمرار ثقافة الصراع والنضال ضده، المنطلقة من الماضي نحو الحاضر والمستقبل. ومن جهة أخرى مقابلة، هناك لدى الغرب إرث ذو نزعة مركزية تركز على المستقبل وتنشغل باعتبارات الفاعلية والربح المستقبلي ولا تنشغل باستحقاقات الماضي، فتصبح المعادلة هي : كيف يمكن أن يقوم بين هذين الكيانين الوجوديين، بكل ما يحملان من تراث وتاريخ ، حوار جديد ينطلق من لحظة وجودية يمثلها الحاضر إلى خطة جديدة، يمثلها المستقبل، دون أن يثقل الماضي هذا الحوار.

معادلة الحوار التفاوضي : فمن جهة أولى، نجد لدى العرب قصورا واضحا في الثقة بالنفس مما أدى ولا يزال إلى عجز عن الدخول في علاقة ندية واقعية مع الآخر تقوم على الاعتراف به وبثقافته. ومن ناحية أخرى مقابلة، نجد لدى الغرب استقواء واستغناء نتيجة ظهور ثمار اللحظة الرأسمالية التي يتمتع بها حاليا. فتصبح المعادلة هي : كيف يمكن أن يتم تفاوض بين الطرفين يؤدي بهما إلى محطات عديدة للاتفاق على ما هو ممكن ومقبول، ضمن ضمان اعتراف بمصالح كل طرف على الآخر "[1].

خلاص الورقة البحثية

يقول الدكتور محمد بكاري من تركيا " إيماني قوي بأن السلم ممكن تحقيقه على أساس دائم، وإذا ما تم تخفيف حدة عنصر الطمع، لأنه يتعذر القضاء عليه بشكل نهائي. كما أشاطر غاندي موقفه عندما يقول بأن " هناك ما يكفي لكل واحد منا في هذا العالم، ولكن ليس ما يكفي لطمع شخص واحد "[2].

أما الدكتور / سلطان ين محمد بن زهران الحراصي فله رأي في الحوار مع الآخر حيث يرى أن " الغرب ليس كله شر، والشرق ليس كله خير، وإنما المقياس في ذلك الفهم الصحيح لثوابت القرآن العظيم. والتي تدعو إلى الإحسان والبر والعدالة، وأخذ الحق في أي مكان كان. ونبذ الباطل مع أي أحد كان. وقد ظهر عبر التاريخ من علماء الإسلام من أنصف الغرب. عندما دعا إلى الحوار معه. وأخذ كل مفيد منه، والتقرب إليه وإقامة علاقات متنوعة معه، بهدف ردم الهوة الفاصلة التي تكونت عبر منعطفات تاريخية وأضاع سياسية وأحوال اجتماعية واقتصادية "[3].

المراجع والمصادر

- " الإسلاموفوبيا ظاهرة تنمو في أوروبا" عبدالرحمن فروجا، ترجمة، محمد محمد العالم، ص 15 . مجلة التواصل، العدد الرابع عشر.
- " البعد الثقافي للتنمية " د. مصطفى أحمد علي، مجلة التواصل، عدد 17.
- " حوار الثقافات الآليات والمفاهيم " د. فواز سيوف، مجلة الرافد، شوال – 1428 هـ / أكتوبر 2007 ، عدد 122.

[1] – انظر: كتاب " الحوار مع الآخر من أجل رؤية عربية "، اجتماع خبراء عرب لصياغة موقف عربي وإسلامي في الحوار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2006 ، دراسة بعنوان " مقترح لخطة شاملة في الحوار العربي الغربي " د. سليمان العسكري، رئيس تحرير مجلة العربي، ص 117و118 .

[2] – انظر: " المسؤوليات الاجتماعية والثقافية في الحوار المشترك بين العقائد " د. محمد بكاري، مجلة التواصل، عدد 20، ص 150 .

[3] – انظر: " تهميش الثقافة وضعف الهوية " د. سلطان بن محمد بن زهران الحراصي، مجلة التواصل، عدد20 ، ص 67 .

- " التفكير التعاوني " تأليف أ.د. محمد جاسم ولي العبيدي، أ.د. بشير سعيد لقع، دار المنار للطباعة والنشر، ليبيا، 2010 .
- " تهميش الثقافة وضعف الهوية " د. سلطان بن محمد بن زهران الحراصي، مجلة التواصل، عدد20 .
- " الحوار مع الآخر من أجل رؤية عربية "، اجتماع خبراء عرب لصياغة موقف عربي وإسلامي في الحوار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2006 ، دراسة بعنوان " مقترح لخطة شاملة في الحوار العربي الغربي " د. سليمان العسكري، رئيس تحرير مجلة العربي.
- " التعايش السلمي لغير المسلمين في المجتمعات المسلمة "، إعداد: مصطفى ياسين وحنين مصطفى، مجلة التواصل، عدد 16.
- الرؤية السردية في رواية " سرادق الحلم والفجيعة " لعز الدين جلاوجي، د. أحمد جاب الله، جامعة الحاج الخضر باتنة، الجزائر، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، عدد 14 ، جوان 2012.
- " العالم الناشئ ينهض " للكاتب / جيم أونيل، جريدة الجريدة الكويتية، الجمعة 21 ديسمبر 2012 .
- " السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954 – 1962)د. إسماعيل دبش، دار هومة، 2007 .
- " العالم والرأسمالية: حيوية ذاتية وأزمات مستمرة " د. أسعد ملي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28 ، العدد الأول، 2012 .
- " الفكر العربي الإسلامي من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم" تأليف الدكتور / مختار الفجاري، عالم الكتب الحديث، 2009 .
- " لغتنا الأم العربية الفصيحة " أ.د. محمود السيد، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 84 ، الجزء 1.
- " اللغة العربية في الصحافة المكتوبة "، من الكلمة الافتتاحية لرئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة .
- " المسؤوليات الاجتماعية والثقافية في الحوار المشترك بين العقائد " د. محمد بكاري، مجلة التواصل، عدد 20 .
- " المواطنة والهوية والعولمة " ، قضايا وآراء، رأي يعقوب يوسف من جزر القمر، ص 55 . مجلة التواصل، العدد العشرون.
- " نحن والآخر " أ.د. بكري شيخ أمين، مجلة الحج والعمرة، جمادي الأولى، 1429 هـ . العدد الخامس.
- " النخبة والحرية – تونس في الثلث الأول من القرن العشرين " د. جمال الدين دراويل، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2011 .